العنوان:	ميزات العمارة الإسلامية
المصدر:	هدي الإسلام
الناشر:	وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية
المؤلف الرئيسي:	الظاهر، نعيم إبراهيم
المجلد/العدد:	مج 53, ع 1
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2009
الشهر:	كانون الثاني - محرم
الصفحات:	100 - 106
رقم MD:	366507
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الكعبة المشرفة ، العمارة الإسلامية ، عصر النبوة ، الخلفاء الراشدون ، العصر العباسي ، العصر الأموي ، الزخرفة الإسلامية ، تخطيط المدن ، التصميم المعماري ، المساجد
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/366507

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

ميزات العمارة الإسلامية

- **بقلم الدكتور نعيم إبراهيم الظاهر**

أ- العمارة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين:

امتازت العمارة الإسلامية في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين بالبساطة، فقد بني المسجد النبوي أصلا من اللبن وسعف النخيل، كما بنيت المساجد في زمن الخلفاء الراشدين من بقايا القصور والمعابد الساسانية، كما حدث في إسطخر وقزوين، أما في العراق فقد أقيمت البصرة والكوفة وفي مصر الفسطاط وبها مساجد بسيطة .

ب- ميزات العمارة في العصور الأموية والعباسية:

الامتداد الأفقي:

يمكن أن يكون نابعا من طبيعة الصحراء الساكنة. حيث لا يرى إلا الأفق الممتد. الذي يمثل امتداد الجدران والأبراج في جامع سامراء، ويمثل الامتداد الأفقي فكرة المساواة بين أفراد الجماعة الإسلامية الذين يقفون في الصلاة في صفوف متماثلة، فكأن الأفقية في بيت الصلاة تعبير عن البساطة والتنزيه في الإسلام على عكس الامتداد الرأسي الذي يظهر في كنائس أوروبا من الطراز القوطي، مما يمثل الطبقية في المجتمع الإقطاعي هناك، كما يمثل فكرة التركيب في تصور الإله بمعنى التثليث.

وإذا كانت المئذنة بارتفاعها الرأسي تمثل استثناء لقاعدة الامتداد الأفقي في عمارة المسجد، فإن المئذنة بناء ملحق بالمسجد، وارتفاعها نابع من وظيفة الآذان الأساسية لإيصال صوت المؤذن إلى أبعد مسافة ممكنة.

العروبة والوحدة العالمية:

تمثل عروبة الفن الإسلامي وعالميته في وحدته التشكيلية التي تعد أهم قيمه الجمالية، فإذا أخذ العرب عن غيرهم الكثير من عناصر الفن فإنهم أيضا كانت لهم فنونهم العريقة في اليمن والشام والعراق ومصر، ولا شك أن لهذا تأثيرا كبيرا على تشكيل فنون الإسلام التي أصبحت فنون العرب أيضا.

الكعبة ودورها في الخاصية العالمية:

تعد الكعبة عاملا موحدا في الفن الإسلامي بوصفها قبلة المسلمين، فكل مساجد الإسلام تتجه نحو الكعبة، فكأن كل بيت صلاة (مسجد) في حقيقة الأمر جزء من دائرة محيطة بالكعبة والبيت الحرام، وبذلك ارتبطت جميع المساجد في وحدة واحدة من حيث التخطيط الذي يرتكز على محور يتجه من وسط موضع البناء نحو مكة والكعبة، وهذا المحور هو الذي يتعامد على جدار القبلة (عبد الحميد 1986: 450-452).

تبادل استخدام العناصر في العمارة والزخرفة:

من خصائص الفن الإسلامي استخدام الأقواس والعقود والقباب بأشكالها المختلفة وبطرق مبتكرة كعناصر معمارية أصيلة أو كعناصر زخرفة، ومن أروع النماذج العقود التي يرتفع بعضها فوق أكتاف بعض في جامع قرطبة، والعقود المدببة المنفوخة في جامع ابن طولون في مصر، ومثل هذا يقال عن مواد البناء المختلفة من الآجر واللبن والحجارة التي استخدمت تبعا للظروف المحلية، وعلى الرغم من ضعف الآجر، فقد تمكن البناؤون المسلمون من إقامة صروح عظيمة لا تزال باقية للآن مثل بقايا جامع سامراء ومئذنته الملوية وقصر الحمراء في غرناطة، وبقايا جامع إشبيلية ومئذنته وغيرها.

التضحية:

تظهر التضحية في أسلوب العمارة وزخرفتها، الذي يصل حد الإعجاز في النحت والتصوير والنقش على الحجر، فتظهر روعة النقش في المقرنصات التي تملأ أكتاف قواعد القباب وتشارك في رفعها في الزوايا، كما تظهر في الصنج المعشفة في عقود البوابات، حيث تتزاوج الحجارة من ملونة وبيضاء في أشكال متشابكة، فضلا عن النقوش الكتابية البارزة والتوريق في الرخام والمرمر (عبد الحميد 1986: 453-454).

التشكيل الهندسي:

يعد المقرنص بأنواعه المختلفة واحدا من الأشكال الهندسية التي أبدع الفنان العربي بطرق استخدامها، وأبدى مقدرة عالية في تركيبها وتوزيعها والتنسيق بينها، ولقد استطاع الفنان العربي عن طريقها أن يعوض ما فاته من استخدام البعد الثالث في فن الرسم والنحت لأسباب تتعلق بعقيدته، وقد ظهر ذلك واضحا في المآذن والأروقة (حيدر 1994: 8-9).

الزخارف والرسوم:

استخدم الزخارف المنوعة واتخاذ الرسوم والصور والفسيفساء الأرضية والجدارية وكذلك الصور الزيتية التي استعمل بها الدهان، ومن المهم أن تلاحظ أن زخرفة المساجد تتكون كلها من أشكال هندسية أو نباتية أو نقوش، أما القصور فقد كانت زخرفتها تضم صورا آدمية أو حيوانية بالإضافة إلى النباتات أو الأشكال الهندسية.

تخطيط العمارة:

جاءت العمارة الإسلامية (في كثير من البيوت والقصور والمساجد) معبرة تعبيرا صادقا عن روح الإسلام وجوهره العقائدي، كما كانت انعكاسا لجميع الظروف المحيطة بها بيئيا واجتماعيا وتكنولوجيا.

وعلى الرغم من اتساع الرقعة الجغرافية التي أنارها الإسلام شرقا وغربا، واختلاف الظروف البيئية والإقليمية من منطقة لأخرى، واختلاف المعالجات المعمارية المستمدة من البيئة المحلية لكل إقليم، فإننا نستطيع أن نحس روح الإسلام ونلمسها في جوهره المعماري وإن اختلفت التفاصيل.

تخطيط المساكن:

على الرغم من وجود نماذج عدة للبيت الإسلامي، إلا أن هناك فكرا معماريا واحدا يربط بينها نستطيع أن نميزه في الآتي:

المسقط الأفقي بكامل مسطح الأرض، وغالبا ما يكون للمنزل واجهة خارجية واحدة هي واجهة المدخل الذي يؤدي إلى قلب البيت وهو الحوش.

السماوي الذي تتوسطه نافورة رخامية ملونة، أما الواجهات الخارجية من المبنى فهي بسيطة للغاية، وأبرز ما يميزها المشربيات الجميلة المصنوعة من الخشب المخروط والتي تضم بعض الكتابات الكوفية والزخرفية.

وقد اتبع التخطيط الآتي في تصميم المساكن:

أ- أن يكون هناك حجرة رئيسة أو أكثر تواجه الشمال وتطل على حوش سماوي.

ب- أن تكون الشبابيك المطلة على الشارع صغيرة وعالية.

ج- أن يكون المدخل متعرجا على نفسه يحول دون رؤية ما بداخل المنزل.

د- أن يوصل مدخل الحريم إلى حوش سماوي آخر، إذا أمكن، أو يوصل إلى أقصى أركان الحوش الرئيس للمنزل.

هـ- أن يكون بالطابق الأرضي حجرة استقبال فسيحة للرجال، كثيرة الزخرفة تسمى حجرة العرش، ومقعد أرضي وحجرة للانتظار ومساكن الخدم، والمطبخ ودورة مياه.

و- أن يشتمل الطابق الأول على جميع قاعات الاستقبال والمعيشة والنوم، ويستعملها أهل المنزل للمناسبات كافة (النحاس 1990: د-هـ).

تخطيط المدن الإسلامية:

كان للدين الإسلامي وانتشاره المكاني أثر كبير في نشوء المدن الإسلامية وتطورها وتخطيطها، إذ صقلت الشريعة الإسلامية وتعاليمها حياة الحواضر والمدن العربية، ووجهت الكثير من أنشطة المدن ضمن القيم الإسلامية ومبادئ الدعوة للإسلام فكانت المدن الدينية والعسكرية ومدن العواصم ومدن البلاط وغيرها، وتشير معظم الدراسات التي تناولت بنية المدن العربية الإسلامية (الجنايني 1987: 87-88 العلي 1985: 69-70) إلى أن المدينة الإسلامية كانت تعتمد في تخطيطها على:

أ- **الاستعمالات الدينية:** احتل المسجد أفضل موقع في المدينة وهو المركز، بوصفه مقرا للصلاة وخاصة أيام الجمع والأعياد والمناسبات الدينية، ويرتبط المسجد بشوارع رئيسة تصل المدينة حتى أبوابها الخارجية.

ب- **الاستعمالات التجارية:** احتلت الأسواق التجارية موقعا مركزيا حول المسجد، يسهل الوصول إليه من كل أطراف المدينة، والأسواق مسقوفة لحماية الناس من المطر والحرارة والغبار.

ج- **الاستعمالات السكنية:** تشغل ثلثي مساحة المدينة، وتتوزع الأحياء السكنية بشكل حلقي، أو نطاقي حول النواة الدينية والإدارية للمدينة، وغالبا ما يكون قصر الحاكم والخليفة قرب المسجد مباشرة.

د- **الاستعمالات الصناعية والحرفية:** تحتل مركزا وسطا مرتبطا بالأنشطة التجارية، وتتخذ نمطين في توزيعها: نمط متخصص على أطراف السوق المركزي ونمط متداخل مع النشاط التجاري داخل السوق.

هـ- **الاستعمالات العسكرية:** وتتمثل في المساحات المخصصة للتدريب والأسوار والأبراج والقلاع والخنادق، ويستدل على ذلك من تخطيط مدينة بغداد.

و- **الشوارع:** تقدر نسبة ما يترك من أراض للشوارع بـ25% م تقريبا من مساحة المدينة العربية الإسلامية، وقد وصل عرض أكبر شارع في سامراء إلى 200 ذراع.

تخطيط المسجد:

وضع مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة الذي أقيم بعد الهجرة مباشرة، مخطط المساجد فيما بعد، على الرغم من بساطته، وأنه لم يكن يحمل أي صفة معمارية إلا أنه حدد المخطط الأول لمسجد المستقبل بأجزائه الأساسية وهي: الصحن الواسع جدا والحرم قاعة عريضة جدا وقليلة العمق إذ تحددت نسبة أبعادها منطقيا مع نظام الصلاة الجماعية، وقد أضيف إلى الحرم المنبر والمحراب. أما المنبر فلقد استعمل منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان النبي يخطب في الجمع على جذع في المسجد قائما، فقال له تميم الداري: ألا أعلي لك منبرا كما يصنع في الشام؟ فوافقه الرسول صلى الله عليه وسلم، فصنع ثلاث درجات من الخشب، أما المحراب فيعتقد أنه يرجع إلى الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (بهنسي 1980: 132).

ويعد المسجد الأموي في دمشق أول نجاح معماري في الإسلام، وهو حلقة هامة تربط تقليد العمارة المسيحية الشامية بعمارة إسلامية جديدة، ويقوم هذا المسجد في مكان مقدس من مدينة دمشق، حيث كان معبد (حدد) الآرامي منذ ثلاثة آلاف سنة، ثم أنشئ معبد (الجوبيتر) في العهد الروماني مؤلف

من سورين متوازيين يحيطان بالهيكل، وفي القرن الرابع أقام الأمبراطور (تيودورس) كنيسة القديس (يوحنا) ضمن الصحن المحاط بالسور الداخلي، وعندما فتح المسلمون الشام تقاسموا هذه الكنيسة مع المسيحيين، ثم اتفقوا على جعلها مسجدا مقابل تخصيص كنيسة مستقلة للمسيحيين، (الحموي ج2: 591).

وأصبح مدخل المعبد الوثني وهما باب جبرون وباب البريد، مدخلين للمسجد يؤديان إلى الصحن وتحيط بهذا الصحن أروقة من أطرافه الثلاثة ويقوم في الحرم الطرف الرابع، وهو يضم ثلاثة أجنحة تمتد موازية للجدار الجنوبي القديم الذي يحدد القبلة، وينقطع ترتيب هذه الأجنحة العرضية بجناح أوسط ممتد نحو العمق مشكلات مصطبة تعلوها قبة عالية يطلق عليها قبة النسر، ولقد أشرف الخليفة الوليد بن عبد الملك عام (705م) على بناء هذا المسجد وتزيينه بالفسيفساء والرخام، وكان يرتفع على حافتي الجدار القبلي برجان مربعان يحملان الشكل التقليدي لأبراج النواقيس الشامية، فأعيد بناؤهما من أجل الآذان، ثم أنشئ على منتصف الواجهة الشمالية مئذنة، حددت بذلك شكل المآذن الأولى في الإسلام، ولقد أصبح الجامع الأموي أنموذجا يحتذى لأكثر المساجد، وفي المدينة المنورة وسع الوليد مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد أنجز هذا العمل المعماريون والمزخرفون الشاميون.

وانشأ سليمان بن عبد الملك مدينة الرملة في فلسطين وأقام قصره فيها، وكذلك بني المسجد الأبيض في مدينة الرملة، وما زالت مئذنته قائمة حتى الآن، وتعد من أضخم الأبراج الشرقية ولا يعادلها إلا مئذنة (الجيرالدا) في إشبيلية، وكانت هندسة المساجد قد انتقلت إلى الأندلس مع الفاتحين، وخاصة مسجد قرطبة الذي استطاع الخليفة الأموي عبد الرحمن الداخل بناءه عام (785م) على أنقاض كنيسة مسيحية، وأصبح أساسا للعمارة الإسلامية الجديدة في الغرب (بهنسي2، 1980: 135-136).

تخطيط الحمامات:

إن أقدم حمام إسلامي موجود في قصر عمرة بالأردن وهو مؤلف من قاعة ذات ثلاثة أجنحة تنتهي بقاعة تحاذيها على الجانبين مقصورتان ذات قادمتين واضحتين من الخارج، وتنفتح القاعة إلى اليسار (أي من الشرق) على غرفتين، أما الجنوبية فهي مغطاة بقبوة مهدية، والثانية مغطاة بقبوة متقاطعة، وتنفتح هذه القاعة من الشرق أيضا على قاعة ثالثة ذات قبة ولها مقصورتان، وتتصل هذه القاعة بدهليز إلى قاعة كبيرة يبدو أنها لم تكتمل.

ويشكل هذا الحمام حلقة مستقلة من نشوء الحمامات الإسلامية، حيث أصبح من الدارج وجود ثلاث قاعات للاستحمام: الباردة والدافئة والحارة، وهذه القاعة مجهزة بأنابيب للبخار (بهنسي2، 1986: 139-140).

ويشبه هذا الحمام حمام آخر يسمى الصرخ، ويقع على بعد 20كم شمالي عمان وانتشرت الحمامات في كل القصور الإسلامية.

تخطيط المدارس:

إن المدارس كمنشآت معمارية تتكون من قاعات للتدريس، وحجرات للأساتذة والطلاب، ومن مصلى ومكان الوضوء، وقد تتضمن مدفناً مقبباً لمنشئ المدرسة . كما تتضمن إبوانات لممارسة التدريس في الهواء الطلق أيام الصيف، ومن أشهر المدارس: المدرسة النظامية، والمدرسة النووية في دمشق بقبتها المقرنصة (هنسي2: 1986: 141-142) والمدرسة المستنصرية في بغداد.

تخطيط القصور:

تقوم القصور الصحراوية وفق مخطط متشابه وشكل معماري موحد يعتمد على مبدأ السور المحيط والصحن الداخلي الذي تشرف عليه أروقة تعقبها غرف في طابق أو طابقين، ويأخذ السور الخارجي طابعا حصينا بعيدا عن الفتحات والزخارف، ومع ذلك فإن الأبراج لم تكن ضرورية لوظيفة الدفاع والتحصين، إذ أن البادية كانت آمنة دائما. بل إسكانها كانوا موالين وأنصارا للأمويين الذين ما زالوا يحنون للحياة البدوية، ومن الممكن أن تكون الأبراج لتدعيم الأسوار من جهة، ولإظهار البناء بمظهر المنعة والقوة من جهة أخرى.

ولقد اختلفت الآراء في تحديد مصادر الشكل المعماري للقصور الصحراوية: فمن قائل إنها قريبة الشبه بالطرار الهلنستي والبيزنطي الذي تجلى في دير الكهف، أو بالطراز الساساني، أو أنها مستمدة من منشآت العرب الأوائل في الحيرة، وهم المناذرة الذين أقاموا قصري (الخورنق والسدير).

وعموما، يمكن القول: أن العمارة الإسلامية تتكون من العناصر الفنية المعمارية الآتية:

- **الأقواس**: وهي على أنواع، فبعضها نصف دائري أو منكسر، والدائري بعضه متطاول من الأعلى ويشبه نعل الفرس، أما القوس المنكسر فهو متطاول إلى أعلى وفي نصفه انكسار، والنوع الآخر هو الأقواس المقرنصة، أما الباب فيحاط بمستطيل ضمنه تحشيات زخرفية تنصفها زهرات مع أقواس زخرفية تعلو هذا المدخل.
- **النوافذ**: وهي شباك حجري أو مصنوع من الجص أو من الخشب وله مشربية، وكانت النوافذ ترتكز على أعمدة جانبية رفيعة. وبرع العرب في صناعة الأبواب الكبيرة وغلفوها بالحديد وطعموها بالذهب والفضة، ونقشوا عليها التزيينات الهندسية العربية البديعة، كما هو الحال في باب المؤيد في القاهرة.
- **المقرنصات**: وهي مأخوذة من النوازل والصواعد ومؤلفة من سبعة عناصر مركبة بشكل مثلثي، توجد على تاج الأعمدة أو على الأفايز، وتتكون من الجص أو الآجر المنحوت أو محفورة على الخشب أو من الطين المحروق.
- **الأعمدة والتيجان**: الأعمدة ذات أشكال مختلفة منها: الاسطواني والمضلع والحلزوني والمثمن، أما التيجان فبعضها يصلي أو مزين بورقات نباتية.

- **القباب:** تعد قبة النسر في الجامع الأموي أقدم قبة إسلامية، وفي العصر الأيوبي أخذت القباب طابعا محززا، وحليت ببعض الزخارف.
- **المآذن:** إن مصدر فكرة المآذن والأبراج يرجع إلى الزيقورات الرافدية، وأول مئذنة كانت في الجامع الأموي في دمشق، وانتقلت إلى المساجد الأخرى. والمآذن مربعة كما في جامع القيروان في تونس، أو